المحاضرة رقم 3

3-تاريخ افريقيا من خلال المصادر القديمة وادب الرحلات[1].

نظرة عن بداية تأسيس النواة الأولى لتاريخ افريقيا:

رغم قلة المصادر التي اشارت الى ماضي افريقيا، بإمكاننا ان نعتبرها هامة في بعض جوانبها المتعلقة بأصالة المجتمعات الافريقية من الناحية الاثنية والثقافية وفي ابعادها المكانية، هذه الميادين غالبا ما تتكرر في كتابات المؤرخين القدامى على غرار الاغريق أولا ثم الرومان بعد ذلك، نضيف ان بنية نصوصهم التي تناولت موضوع افريقيا، تشبعت بعامل "**الأسطورة**" وهذا يعود الى البدايات الأولى في عملية نسج النصوص التاريخية على يد الاغريق والتي لم تتخلص بعد من "**عنصر الغرابة** او كل ما هو "**خارج عن المألوف/l'exotisme** " ، هذه النظرة دامت الى غاية القرنين 17 و 19 م ، عندما بدأت الرحلات الاستكشافية الجغرافية التي خاضتها أوروبا في عهود نهضتها، تأول كل ما جمعوه من معلومات على شكل تقارير او ما سمي ب"أدب **الرحلات la littérature des expéditions**" ثم تحولت الى حوليات، ضمت في طيات نصوصها النظرة المنحازة او ما سمي ب" **النظرة الاثنو-مركزيةEthno-centrisme**"، حول هذه الشعوب و التي اعتبروها "**متوحشة تارة او بدائية تارة أخرى**" في نظرهم.

من البديهي إذا، ان نولي لهذه النصوص أهمية بمكان سواء القديمة [2]منها او كتب الرحلات، نظرا لما تحمله من معلومات غزيرة، يمكنها ان توصلنا الى معرفة تاريخ افريقيا بشكل عام، هذه النصوص الأخيرة ليس من السهل بالنسبة للافارقة المعاصرين الوصول اليها لعدة اعتبارات موضوعية، نلخصها في الجوانب التالية:

---

[1] - الميدان يظهر واسعا لكننا اختصرناه في حقبتين أساسيتين من خلال نوعية المصادر:

- المصادر القديمة التي تبدأ مع هيرودوت منذ القرن الخامس قبل الميلادي وانتهت مع الرومان
- مصادر ادب الرحلات لان هؤلاء الرحالة اعتمدوا على كتابات القدامى في تحقيق ما دون من قبلهم فأضافوا الكثير من المعلومات التي لم يصل اليها الاغريق والرومان من قبل.

[2] - ظهور نصوص حول تاريخ افريقيا تزامنت مع بداية تأسيس "النص التاريخي" من طرف الاغريق وعلى يد المؤرخ هيرودوت،

- ✓ -صعوبة الوصول الى هذه المصادر؛
- ✓ العائق اللغوي، بالنظر ان اغلبية هذه النصوص دونت بلغات قديمة زالت مع مرور الزمن على غرار الاغريقية القديمة واللاتينية؛
- ✓ إشكالية فهم الأطر الحضارية والثقافية لهذه المجتمعات الافريقية القديمة في بعض جوانبها الاجتماعية والدينية بالخصوص؛
- ✓ عدم إدراك اللغات الافريقية القديمة التي تمثل عائقا في فهم الكثير من الدلالات للأسماء التي نقلها لنا هؤلاء المؤرخين الكلاسيكيين (الاغريق والرومان)[3].

هذه بعض من الجوانب التي تعيق المتخصص عندما لا يستعين بها في بحثه عن ماضي افريقيا والى جانب اخر، أظهرت العلوم المساعدة في كتابة التاريخ كعلم الاثار بتخصصاته وعلم الانثروبولوجيا الثقافي والدراسات اللسانية القديمة من الأسس الرئيسية في استنباط المعالم التاريخية لأي مجتمع بحكم ان المقاربات التي تتناولها ميادين هذه العلوم المساعدة تنحصر في مجال واحد وهو دراسة الانسان في محيطه الطبيعي أولا ثم صيرورته في الزمان ثانيا.

[3] - دراسة الأسماء هو بحث مهم نظرا لما تحملها من ارث ثقافي ولغوي للمجتمعات " البدائية" خاصة التي لا تملك النصوص وميادين الدراسة في هذا المجال متشعب، يشمل على الأقل ميدانين هامين:

- الجانب **الطوبونيمي Toponymique** أي علم أسماء الأماكن؛
- الجانب **الانثروبونيمي Anthroponymie** و **الاثنونيمي Ethnonymie** أي علم أسماء الاعلام (الأشخاص او أسماء القبائل)